

تحقيق الهمزة وتخفيفها

في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

د. هادي عبد علي هويدي الفتلاوي

جامعة الكوفة / كلية الدراسات الإسلامية

اهتم العلماء العرب بدراسة الاصوات اللغوية، في تحديد مخارجها ، وصفاتها من حيث الجهر والهمس والشدة والرخاوة، ومايتصل بهذه الصفات من حيث الاظهار والاختفاء او الفك والادغام وغيرها .

وكان لصوت الهمزة نصيبه الوافر في هذه الدراسات . فوصفوا مواضع اخراجها وحددوه وحددوا صفتها . قال الخليل ت ١٧٠ هـ ((واما الهمزة فمخرجها من اقصى الحلق ، وهي مهتونة مضغوظة ، فإذا رفه عنها لانت فصارت الياء والواو والالف من غير طريقة الحروف الصحاح)) وهذا القول يعد تعليلاً لتخفيف الهمزة وابدال احرف المد بها . على انهم عزوا التخفيف الى لهجة الحجاز والتحقيق الى لهجة تميم وقبائل نجد . ويتضح ذلك في قول ابي زيد الانصاري ((اهل الحجاز وهذيل واهل مكة لاينبرون، وقف عليها عيسى بن عمر فقال : وما آخذ من قول تميم الا بالنبر وهم اصحاب النبر ، واهل الحجاز اذا اضطروا نبروا...)) .

وتناول ابن ابي الحديد في شرحه لنهج البلاغة ظاهرة التحقيق في الهمزة وظاهرة التخفيف فيها ((التسهيل)) فاشار الى مواضع من كلام الامام عليه السلام يحقق الهمزة ، ومواضع اخرى يسهلها وعزا ابن ابي الحديد ذلك الى اسباب تتصل بمزايا الخطاب من حيث الصياغة الادبية حيث تتطلب القرائن السجعية ذلك أي التحقيق والتسهيل مراعاة للسجعة وبالتالي فان كليهما لا يخرج عن لهجات القبائل العربية . فالخطاب جاء بلغة العرب في حالتيه . ومن ثم وجدنا ابن ابي الحديد قد سجل جميع المواضع التي ردت فيها الهمزة غير محققة مراعاة للفاصلة او السجعة او محققة مراعاة للسجعة ايضاً .

واستنتج من ذلك انه تحقيق الهمزة هو الظاهرة السائدة في اللغة العربية والادبية التي عرفت في شعرهم وخطبهم ونزل بها القرآن الكريم ، اما التخفيف فهو اللغة اللينة التي يميل اليها الناس في حديثهم اليومي ومعاملاتهم .

١ - الهمز في الدراسات الصوتية عند العرب

الهمز من الظواهر التي عرفت في اللغة العربية في تاريخها الطويل، اختلف فيها الناطقون بين التحقيق والتخفيف حتى أصبحت ميداناً واسعاً للدرس الصوتي وهذا ما دعا سيبويه إلى تعليل ظاهرة تخفيف الهمز عند طائفة من العرب بقوله ^(١) ((واعلم أن الهمزة إنما فعل بها هذا من لم يخففها لأنه بعد مخرجها، ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي ابعد الحروف مخرجاً فتقل عليهم ذلك لأنه كالتهوع))، وإلى هذا السبب ذهب المبرد وأضاف ^(٢):

((ولا يشركه في مخرجه شيء، ولا يدانيه إلا الألف والهاء))

وكلام المبرد يفسر لنا إبدال الهمزة بحرف آخر، وذكر بعضها الألف والهاء غير أن الإبدال لم يكن محصوراً بالألف والهاء، فقد نجدها تبدل من حروف المد الثلاثة (الألف والواو والياء) كما تبدل عينا أحيانا عند بعض الناطقين فقد قيل في إبدال العين من الهمزة ^(٣) ((وأما العيش فقد أبدلت من الهمزة وانشدوا لذي الرمة ^(٤):

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عنيك مسجوم

يريد: أن)).

أما أحوال الهمزة فقد ذكرها سيبويه في قوله ^(٥): ((اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء: التحقيق، والتخفيف، والبذل. فالتحقيق قولك: قرأت، ورأس، وسأل، ولوئم، وبئس، وأشبه ذلك)).

وقال أيضاً ^(٦): ((وأما التخفيف فتصير الهمزة بين بين، وتبدل وتُحذف))

وستكون دراسة الهمز في هذا المبحث على محورين:

الأول: دراسة أحوال الهمز عند الناطقين بالعربية، ويتم على ضوء ما أورد ابن أبي

الحديد في شرح نهج البلاغة، وهو على حالتين:

أ: تحقيق الهمزة.

ب: تخفيفها، ولما كان التخفيف في ما أورده سيبويه بنطق الهمزة بين بين أو إبدالها أو حذفها فتكون دراسة التخفيف حيث ورد نوعه عند الشارح.

الأمر الثاني: أشارت الدراسات القديمة إلى أن التحقيق والتخفيف (التسهيل)

ظاهرة لهجية تنطق بكل منهما قبائل من دون أخرى، دل على ذلك قول سيبويه^(٧).

((وذلك، قولك: سال في لغة أهل الحجاز إذا لم تحقق كما يحقق بنو تميم)).

وقوله أيضاً^(٨): ((واعلم أن الهمزتين إذا التقتا وكانت كل واحدة منهما من

كلمة فإن أهل التحقيق يخففون إحداها، ويستثقلون تحقيقيهما لما ذكرت لك كما

استثقل أهل الحجاز تحقيق الواحدة فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا،

ومن كلام العرب تخفيف الأولى وتحقيق الآخرة، وهو قول أبي عمرو، وذلك قولك^(٩).

(فقد جاء اشراطها) و (يا زكريا إنا نبشرك)^(١٠) ومنهم من يحقق الأولى ويخفف

الآخرة سمعنا ذلك من العرب وهو قولك: (فقد جاء اشراطها ..) و (يا زكريا إنا ..)

وكلام سيبويه السابق في كون التحقيق ظاهرة لدى تميم والتخفيف عند أهل

الحجاز لا بد من مناقشته. قال الخليل^(١١):

((وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق، وهي مهتوتة مضغوظة، فإذا رُفِّه عنها

لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح)).

ولم يذكر أن الترفيه والضغط محصور بيئة معينة من دون غيرها على أننا لا

ننكر وجود من يحقق ومن يخفف لكن الذي نعتقده أن التحقيق والتخفيف ظاهرتان

معروفتان في كل القبائل لسبب رئيس وواضح لدى كل من يتصفح الشعر العربي قبل

الإسلام وفي عصر الإسلام الأول بوصفه الدليل على اللهجات فضلاً عن الكتاب الكريم

الذي ورد مهموزاً. وكل هذا لا يدل على أن قريشاً والحجاز لا تعرف التحقيق، إلا أننا

قد نميل إلى أن العربي قد يجنح إلى الخفة والسهولة في الكلام في حديثه اليومي فيميل

إلى تخفيف الهمزة فإذا أراد أن يتكلم باللغة الأدبية همز كما هو وارد في أدبهم وفي

القرآن الكريم، ويمكننا الاستدلال بما روي عن أبي زيد من مقالة مفادها^(١٢):

((قال أبو زيد: أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة لا ينبرون؛ وقف عليها عيسى بن عمر

فقال: ما أخذ من قول تميم إلا بالنبر، وهم أصحاب النبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا

نبروا. قال: وقال أبو عمر الهذلي: قد توضيت، فلم يهمز وحولها ياءاً ...))

فكلام أبي زيد لا ينفي النبر في لغة أهل الحجاز لقوله: ((إذا اضطروا نبروا)) وعلى هذا تكون رواية موسى بن عبيدة عن نافع عن ابن عمر^(١٢) ((ما همز رسول الله ﷺ، ولا أبو بكر ولا عمر ولا الخلفاء، وإنما الهمزة بدعة ابتدعوها من بعدهم)) لا تقوم على دليل لأننا نسأل:

١- بآية لغة قرأ الرسول الكريم والخلفاء القرآن الكريم وقد جاء مهموزاً؟

٢- ألم يكن علي من الخلفاء وهذه خطبه بين أيدينا؟

وقيل في ظاهرة الهمز أيضاً^(١٤):

((يظهر أن الميل إلى تحقيق الهمز ظاهرة بدوية، وقد ارتبطت هذه الصفة بتميم وغيرها بوصفها قبيلة أو قبائل بدوية، وعزوف أهل الحجاز عن هذه الظاهرة لتحضرها)).

ولو فرضنا صحة هذه المقولة وهذا التعليل فإنه لا يعني أن بيئة الحجاز لا تنطق بالهمزة. ألم تكن طبقة القراء الأولى حجازية؟

وأن أولى القراءات القرآنية وأحقها هي القراءة المحققة؛ وتعني^(١٥) ((إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد وتحقيق الهمز وإتمام الحركات...)). وارى على ضوء ما تقدم أن تحقيق الهمزة هو اللغة الأدبية التي عرفت في شعرهم وخطبهم ونزل بها القرآن الكريم، أما التخفيف فهو اللغة اللينة السهلة التي يميل إليها الناس في حديثهم اليومي ومعاملاتهم.

٢- الهمز في شرح نهج البلاغة

١- تحقيق الهمز

وردت الهمزة محققة في شرحه لقول الإمام الطيِّب فيما يأتي:

١- قال الشارح في توضيحه لخطبة الرضي رحمه الله^(١٦):

((ومكافأة لعملهم، وكفاءاً لطيب أصلهم وفرعهم...)).

((مكافأة، بالهمز، من كافاته، أي جازيته، وكفاءاً بالهمز والمد، أي نظيراً)).

قال في لسان العرب^(١٧): ((كافاه على الشيء مكافأةً وكفاءاً، جازاه وتقول:

مالي به قبل ولا كفاء، أي مالي به طاقة على أن أكافئه، وقال حسان بن ثابت^(١٨):

((.... وروح القدس ليس له كفاء)).

وقال أيضاً ^(١٩) ((وفي حديث صفة النبي أنه إذا مشى تكفى تكفياً، التكفى: التمايل إلى قدام كما تتكفا السفينة، قال ابن الأثير: روي مهموزاً وغير مهموز، قال: والأصل: الهمز لأنه مصدر تفعل من الصحيح.. والهمزة حرف صحيح.. والتكفى في الأصل مهموز فترك همزه ولذلك جعل المصدر تكفياً)).

والذي أورده الشارح أن اللفظة مهموزة ولم يذكر فيها تخفيف الهمز، والذي جاء في المعجم أن اللفظة ترد مهموزة ومخففة من الهمز، فإذا خففت في مثل هذا الموضع فإنها لا تبدل، وإنما تكون بين بين، كما يرد ذلك في كلام العلماء الذين استقروا قواعد تخفيفها. قال سيبويه ^(٢٠):

((اعلم أن كل همزة مفتوحة، كانت قبلها فتحة فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة وتكون بزنتها محققة غير أنك تضعف الصوت ولا تتمه وتخفى لأنك تقربها من هذه الألف وذلك قولك: سأل في لغة أهل الحجاز إذا لم تحقق كما يحقق بنو تميم، وقد قرأ قبل بين بين)).

وهذا ينطبق على الفعل ((كفا)) ومزيداته التي ذكرت، في الشرح وفي المعجم أيضاً، فقد أورد الشارح (مكافأة) وهي مصدر الفعل الثلاثي المزيد بألف بعد فائه، كما ورد (كفاء) وهو أيضاً كذلك لأن مصدر هذا الفعل يصاغ على (مفاعلة وفعال). أما الذي أورده المعجم (تكفا) ومصدره (التكفو) فهو من الثلاثي المزيد بحرفين، ولا يوجد تغيير في حركة الفعل فحركة الهمزة والحرف الذي قبلها الفتح، وفي هذه الحال لا تبدل ألفاً وإنما تنطق بين على ما ذكره سيبويه، غير أن الشارح اكتفى بقوله: يأتي مهموزاً وغير مهموز، إلا أن الهمز جاء في الشرح محققاً.

٢ - المهنا ذكره الشارح في قوله ~~الطعام~~ قال ^(٢١):

((هو المصدر من هنيء الطعام وهنؤ بالكسر والضم، مثل فقه وفقه فإن كسرت قلت - يهنأ - وإن ضمنت قلت: يهنؤ، والمصدر هناة ومهنا، أي صار هنيئاً، وهنأني في الطعام يهنؤني لا نظير له في المهموز، هنا وهناء، وهننت الطعام، أي تهنأت به، ومنه قوله تعالى ^(٢٢) [... فكلوه هنيئاً مريئاً...]).

الملاحظ في كلام الشارح:

- ١- أن الفعل مهموز.
- ٢- الفعل في بنيته الصرفية يأتي من بابين (في حركة عين الفعل) من باب (فعل) (فعل) مكسور العين في الماضي مفتوح المضارع، ويأتي من (فعل يفعّل) مضموم العين في الماضي والمضارع، وهو متعد في الأولى ولازم في الثانية.
- ٣- أورد الشارح أنه لا نظير له في المهموز، وهذا هو نفسه كلام ابن منظور في المعجم^(٢٣) بعد أن يورد الفعل من بابين. واللفظ مهموز عند ابن السكيت في قوله^(٢٤): ((وقد هنأته بالولاية وقد هنأني الطعام ومراني فإذا افردوها قالوا: أمراني الطعام))، وقال ثعلب^(٢٥) ((والمهنا: اسم رجل مهموز)) والتخفيف في هذا اللفظ يأتي بالإبدال وعلى الشكل التالي:
- أ - تقلب الهمزة ياءاً في الماضي عندما يكون الفعل من باب (فعل يفعّل) فتكون الهمزة في الماضي ياءاً وفي المضارع ألفاً.
- ب - تقلب الهمزة واواً في الماضي والمضارع إذا صيغ على باب فعل مضموم العين في الماضي والمضارع. وإلى هذه القاعدة أشار سيبويه في قوله^(٢٦): ((وإن كانت الهمزة مفتوحة وقبلها ضمة وأردت أن تخفف أبدلت مكانها واواً كما أبدلت مكانها ياءاً حيث كان ما قبلها مكسوراً...)).
- ويبدو للباحث أن كلام الشارح: لا نظير له في المهموز يفسره كلام سيبويه في أن هذه الهمزة قياسها أن تكون بين بين ولم تكن كذلك لغرض صوتي فقد لا يتحقق الانسجام في الصوت إذا نطقت بين بين^(٢٧).
- ٣ - قوله^(٢٨) ((فلقد خبا الدهر لنا منك عجباً)). قال الشارح: ^(٢٩) ((وخبا، مهموز، والمصدر الخبء، ومنه الخابية إلا أنهم تركوا همزها، والخبء أيضاً والخبىء على فعيل: ما خبىء)).
- جاء في لسان العرب^(٣٠): ((خبأ الشيء يخبؤه خبأ ستره، ومنه الخابية، أصلها الهمزة من خبات إلا أن العرب تركت همزه قال أبو منصور: تركت العرب الهمز في أخبيت وخببيت وفي الخابية لأنها كثرت في كلامهم... وفي التنزيل^(٣١) الذي يخرج

الخباء في السماوات والأرض..] والتخفيف في هذه اللفظة يأتي بالحذف، وهو أحد طرق تخفيف الهمز عند الذين لا يحققونها. قال سيبويه (٣٢):

((وقد قال الذين يخففون: [...] ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبأ في السماوات.] حدثنا بذلك عيسى وإنما حذفت الهمزة هاهنا لأنك لم تُرد أن تتم وأردت إخفاء الصوت فلم يكن ليلتقي ساكن وحرف هذه قصته، كما لم يكن ليلتقي ساكنان)).

ويرى الباحث أن الذي ذكره سيبويه في تخفيف الهمزة هنا لهجة ولم يكن قراءة إذ لم نقف عليه في كتب القراءات التي تيسرت لنا وإن لم يشر سيبويه إلى أنه قراءة مع إن عيسى بن عمر من القراء فضلاً عن إن القراءات في أغلبها تعود إلى أصول لهجية.

وقال أيضاً (٣٣) ((ومما حذف في التخفيف لأن ما قبله ساكن، قوله: أرى وترى ويرى ونرى... وحدثني أبو الخطاب أنه سمع من يقول: قد أراهم. يجيء بالفعل من رأيت على الأصل، من العرب الموثوق بهم)).

٤ - ومن المهموز الوسط أورد الشارح قوله (٣٤) ((وأكملوا الأمة، والأمة بالهمز، الدرع والهمزة ساكنة على - فعلة- مثل النامة للصوت)). والتخفيف في هاتين الكلمتين يتم بإبدال الهمزة ألفاً لقول سيبويه: (٣٥) ((وإذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة فأردت أن تخفف أبدلت مكانها ألفاً، وذلك في قولك: رأس وبأس وقرات، رأس وبأس وقرات)).

٢ - تخفيف الهمز

وردت ألفاظ خففت فيها الهمزة بالإبدال وغيره وأمثلتها وبعضها أشار فيها إلى لغات الناس في همزها أو تسهيلها وهي على ما يأتي:

[١] - ذكر الشارح قول الإمام عليه السلام (٣٦) ((ناواه)) قال: عاداه، واللفظة مهموزة وإنما ليئها لأجل القرينة السجعية، وأصلها: ناوات الرجل مناواة ونواء، وفي المثل: إذا ناوات الرجل فاصبر)). وقال (٣٧) ((المستحذي)) الخاضع وقد يُهمز، وقيل لإعرابي في مجلس أبي زيد: كيف تقول: استحذأت؟ فقال: العرب لا تستحذيء وهمزه وأكثر ما يستعمل مليناً، وأصله من حذو خذوا أي استرخي، ويجوز: خذي بكسر الذال (...)).

وقال (٣٨) ((والاستلام في اللغة لمس الحجر ولا يُهمز لأن أصله من السلام وهي

الحجارة كما تقول: استنوق الجمل وبعضهم يهمزه)).

وفي هذه الألفاظ نذكر قول ابن سيده قال (٣٩) ((ناوات الرجل وناويته))

وقال (٤٠) ((قال ابن السكيت: مما همزت العرب وليس أصله الهمز قولهم استلّمت

الحجر، وإنما هو من السلام، وهي الحجارة، وكان الأصل استلّمت)).

وفي تخفيف الهمزة ذكرت أقوال ابن أبي الحديد أعلاه يثبت فيها:

(١) ألفاظاً مهموزة وقد خُففت مثل: ناوأ - المستخذيء.

(٢) ألفاظاً غير مهموزة وقد همزها بعض العرب مثل الاستلام لمس الحجر.

والتخفيف يكون بالحذف والإبدال، والذي حصل فيما ذكرنا إبدال الهمزة ألفاً في

((ناوأ)) وإبدال الهمزة ياءاً في ((المستخذي)) وقد جرى الإبدال على وفق كلام أهل

اللغة بإبدال الهمزة إلى الحرف الذي منه حركة ما قبلها ومؤيد بكلام ابن منظور (٤١):

((ناء بحمله ينوء نوءاً - نهض بمشقة... وأصله الهمز...)).

وأصحاب المعاجم في ذكرهم الكلمات المهموزة يؤكدون الأصل ولكنه خفف على

عادة العرب. فضلاً عن ذكر الشارح ألفاظاً غير مهموزة وهمزها بعضهم مثل

المستخذي التي لا تهمز في الغالب واستلّمت التي لا تهمز، فقد ثبت الشارح أقواله فيها

وهي منسجمة مع أقوال علماء اللغة يؤيد دقة الشارح وقدرته العلمية في تحمل أعباء

القيام بشرح مثل هذا الكتاب الكبير كلام ابلغ العرب بعد رسول الله ﷺ.

[٢] - إبدال الهمزة ياء :

قال في شرحه لكلام الإمام الطيبي (٤٢) ((الروية: الفكرة وأصلها الهمز، روات في

الأمر، وقد جاء مثلها كلمات يسيرة شاذة نحو: البرية، من برأ، خلق، والذرية، من

ذرا، أي خلق أيضاً والذرية، أي ما يستتر به الصائد، أصله من درأت، أي دفعت وفلان

بري، أي بريء)).

والوقوف على ما حصل في هذه الكلمات يستلزم:

١- الوقوف على معناها وبنائها في المعجم العربي، وما إذا كان معناها مهموزة

يختلف عنه غير مهموزة أم لا يختلف ؟

٢- أحصل الإبدال بين الهمزة و أحد أصوات المدّ؟ أهو موافق لقوانين اللغة في الإبدال ؟

ولمعرفة الحالة الأولى نلاحظ ما جاء في لسان العرب، قال^(٤٣):

((روا في الأمر تروينا وترونة: نظر فيه، وتعقبه ولم يعمل بجواب وهي الروينة، وقيل: إنما هي الروية بدون همز، ثم قالوا: روا: مهموز على غير قياس، كما قالوا: حلات السوق، وإنما هو من الحلاوة.. وفي الصحاح: إن الروية جرت في كلامهم غير مهموزة. التهذيب: رواأت في الأمر..)).

وقال أيضاً^(٤٤) ((البارئ من أسماء الله تعالى، والله البارئ والذاريء وفي التنزيل^(٤٥) [... البارئ المصور...]. وقال تعالى^(٤٦) [... فتوبوا إلى بارئكم...] وقال: البارئ هو الذي خلق الخلق لا عن مثال.. وفي التهذيب: البرية: الخلق بلا همز. قال الفراء: هي من برا الخلق، أي خلقهم وأصلها الهمز وقد تركت عرب همزها ونظيرها النبي والذرية، وأهل مكة يخالفون غيرهم يهمزون البرينة والنبيء والذرينة..)).

وفي - ذرا - قال في لسان العرب^(٤٧) ((الدرء: الدفع، دراه يدروه درءاً ودراءة.. ودارات بالهمز: دافعت.. والأصل في التداري: التدارؤ فترك الهمز.. وقال الأصمعي: وهو مهموز. قال ابن الأثير: الدرية بغير همز حيوان يستتر به الصائد فيتركه يرعى مع الوحوش)). وفي التنزيل العزيز^(٤٨) [... فاداراتم فيها ...].

أما الفعل - ذرا - فقد قال فيه: ^(٤٩) ((في صفات الله تعالى الذاريء وهو الذي ذرا الخلق، أي خلقهم.. وفي حديث الدعاء: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرا وبراً.. وكان الذر مختص بخلق الذرية، قال ابن بري: جعل الجوهرية الذرية أصلها الذرينة)). ومن خلال عرض الألفاظ في المعجم وضع لنا:-

- ١- أن معناها مهموزة غير معناها وهي غير مهموزة، يتضح ذلك من كلام الفراء في اللسان (البرية من البري وهو التراب) فإن برى غير برا وكلام ابن سيده^(٥٠) ((فهي كلمات مهموزة غير معناها من دون الهمزة يقال: رواأت في الأمر ورويت رأسي بالدهن)) ولو تابعنا الأفعال درى وذرا وبرى في المعاجم وهي غير مهموزة لأتضح اختلاف معناها.

قال ابن أبي الحديد ^(٥١) ((ثم اقسام بالذي فلق الحب وبرا النسمة.. وهذا القسم لا يزال أمير المؤمنين يُقسم به وهو من مبتكراته ومبتدعاته)). ويكون برا بمعنى خلق وليس بمعنى التراب الذي ذكره الفراء.

٢- صيغت هذه الأفعال على (فعليله) فصارت: بريئة، ذريئة، ودرية وعلى شاكلتها.

٣- من المتفق أن تبدل الهمزة ألفاً أو واواً أو ياءاً على وفق القواعد المستقراة من كلام العرب عند من يخفف الهمزة لأن الإبدال أحد طرق التخفيف عندهم، فقد قلبت الهمزة ياءاً وأدغمت بياء (فعليل) فصارت: بريّة وذريّة ودرية... على أن من العنماء من يراها غير قياسية كابن سيده ومضمون كلامه ^(٥٢) لو كان على القياس لكان مثل خطينة يهزم مرة ويبدل أخرى، وقياسه قياس النبيء من نبات بمعنى: أخبرت لأنه أنبا بحق الله تعالى، وأنبيء، وهو تخفيف إبدالي، وفيه آراء متعددة. والذي نهدف إليه من المناقشة السابقة هو ما يأتي:

أيتم إبدال الهمزة من أحرف المد؟

لقد تناول ذلك الدكتور عبد الصبور شاهين في كلامه الذي يتضمّن حقيقة العلاقة بين الهمزة وأحرف العلة ومضمون كلامه ^(٥٣): يجب أن نعرف الهمزة من الناحية الصوتية فهي صوت يخرج من الحنجرة دائماً، صوت حنجري انفجاري وهي بذلك تعد من الصوامت، وأصوات المد انطلاقية تخرج من الفم بعيدة عن الحنجرة والخلق والنهارة، ثم هي أصوات مجهورة وهناك ما يشبه التعارض بين طبيعة الهمزة من جانب وطبيعة الحركات من جانب آخر يتمثل في الفروق التالية:

١- المخرجان متباعداً.

٢- الهمزة مهموسة والحركات مجهورة.

٣- الهمزة انفجارية والحركات انطلاقية.

٤- الهمزة صوت صامت مستقل وحروف العلة صوت حركي انتقالي.

ثم قال ^(٥٤): ((تقرر، لا علاقة صوتية مطلقاً بين الهمزة وبين أصوات المد، فكل ما نعرفه في هذه المسألة يوحي بالتباعد الذي ينفي الإبدال)).

وقال أيضاً^(٥٥): ((إذن فالقول بوقوع الإبدال بين الهمزة من جانب وأصوات المدّ والعلة من جانب آخر لا تؤيده الحقيقة الصوتية لبعدها بين الجانبين، وهو قول لا ينهض لتفسير مشكلة التغير التي تتعرض له الكلمة العربية لأنّ هذا التغير خاضع لجملّة من العوامل التي تتصل بخصائص النطق..)).

ويرى الباحث أنّه على الرغم مما عرضه الدكتور عبد الصبور شاهين من خصائص الحروف وصفاتها سواء أحرف المدّ أم الهمزة وهو أمر جدير بالإعجاب لما فيه من دقة الوصف وتحديد المخارج. ولكن الذي ينبغي ألا يتصوره أحد أن علماءنا الأقدمين قد غابت عن أذهانهم صفات الحروف التي يُبدل بعضها من بعض، وأنهم لم يقفوا وقفة علمية دقيقة أمام إمكان تبادلها للعلاقة المخرّجية فيها والصفات المتقاربة التي تجعلها تتبادل من بعضها، وليس أدلّ على ذلك من قول سيبيويه^(٥٦) في باب الوقف في الواو والياء والألف:

((وهذه الحروف غير مهموسات وهي حروف لين ومدّ، ومخارجها متسعة لهواء الصوت، وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها؛ ولا أمدّ للصوت فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيرها فيهبوي الصوت إذا وجد متسعاً حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة، وإذا تفتنت وجدت مسّاً ذلك وذلك قولك: ظلموا ورَمَوْا، وعَمِي وخَبَلِي)).

وقال^(٥٧) ((وزعم الخليل أن بعضهم يقول: رأيت رجلاً فيهمز، وهذه حُبْلَاء، وتقديرهما: رَجُلٌ وحَبْلٌ فهمز لقرب الألف من الهمزة حيث علّم أنه سيصير إلى موضع الهمزة فأراد أن يجعلها همزة واحدة وكان أخفّ عليهم)).

هذه الأقوال أدلة على أن امتداد الصوت في أحرف المدّ يجعل الصوت ينقطع عند مخرج الهمزة وأنّ ذلك لا يبقى سبب يمنع التبادل بين الهمزة وأحرف المدّ. فضلاً عن عدم دقة المُحدثين في عدّهم الهمزة مهموسة لأنها مجهورة عند الأقدمين.

ولعل ابن جني هو الآخر انتبه إلى هذه الناحية، قال في تفسير قلب أحرف المدّ إلى الهمزة^(٥٨): ((وذلك كقولنا في شرح حال الممدود غير المهموز الأصل؛ نحو سماء، وقضاء. ألا ترى أن الأصل سماو، وقضاي، فلما وقعت الواو والياء طرفاً بعد ألف زائدة قلبتا ألفين فصار التقدير بهما إلى سماء، وقضاء، فلما التقت الألفان تحركت

الثانية منهما فانقلبت همزة، فصار ذلك إلى سماء، وقضاء. أفلا تعلم أن أحد ما قدرته - وهو التقاء الألفين - لا قدرة لأحد على النطق به)).

ويرى الباحث أن كلام ابن جنّي يدعم قول سيبويه إذ أن التقاء الألفين مسألة تخمينية لا تصدق في النطق ولا تجعل الألف الثانية متحركة فلا يمكن ذلك على الحقيقة، وإنما الذي يمكن أن صوت الألفين يمتد أكثر حتى ينقطع عند مخرج الهمزة فيقلب همزة. وهذه أدلة يراها الباحث كافية لتفسير الإبدال بين أحرف المد والهمزة فيما رأى الأقدمون .

الهوامش

- (١) الكتاب ٣ / ٥٤٨؛ وينظر: شرح المفصل لأبن يعيش ٩ / ١٠٧
- (٢) المقتضب للمبرد ١ / ١٥٥
- (٣) سر صناعة الإعراب لأبن جنّي ١ / ٢٣٤
- (٤) ديوان ذي الرمة ١ / ٣٧١؛ ورويت في الديوان: أن ، بالهمزة
- (٥) الكتاب ٣ / ٥٤١
- (٦) نفسه ٣ / ٥٤١
- (٧) الكتاب ٣ / ٥٤٢
- (٨) نفسه ٣ / ٥٤٨ - ٥٤٩
- (٩) سورة محمد / من الآية ١٨
- (١٠) سورة مريم / من الآية ٧
- (١١) مقدمة العين ١ / ٥٢
- (١٢) لسان العرب ١ / ٢٢
- (١٣) الإتقان للسيوطي ط/٣ ، ١ / ١٦٩
- وينظر : اللهجات العربية في التراث ١ / ٣١٧
- (١٤) لهجة تميم وأثرها في اللغة الموحدة د. غالب المطلبي ص/ ٨٥
- (١٥) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١ / ٢٠٥
- (١٦) شرح نهج البلاغة ١ / ٤٣. وينظر: منهاج البراعة ١ / ١٢
- (١٧) لسان العرب - كفا - ١ / ١٣٩
- (١٨) شرح ديوان حسان بن ثابت ص/ ٦٢ ، و صدره (وجبريل رسول الله فينا)
- (١٩) لسان العرب - كفا - ١ / ١٣٩
- (٢٠) الكتاب ٣ / ٥٤١ - ٥٤٢
- (٢١) شرح نهج البلاغة ٧ / ٢٠٩
- (٢٢) النساء / من الآية ٤
- (٢٣) لسان العرب - هنا ١ / ١٨٣
- (٢٤) إصلاح المنطق ١ / ١٤٩
- (٢٥) فصيح ثعلب : ص / ٧٣
- (٢٦) الكتاب ٣ / ٥٤٣

(٢٧) في الفعل السابق (كفاً) عند تخفيفه نطقت الهمزة بين بين أما في هذا الفعل فقد أبدلت، وقد فسر السيرافي ذلك في قوله: ((فإن قال قائل: لم قلبتها في هذا الموضع ياءاً محضة أو واواً محضة وجعلتها بين بين فيما قبل ؟ الجواب: إن همزة بين بين إنما هي الهمزة في الحرف الذي منه حركتها فإذا كانت مفتوحة وقبلها ضمة أو كسرة لم يستقم أن تجعلها بين بين وتتحو بها نحو الألف لأنها مفتوحة والألف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً فقلبناها واواً محضة)) ، هامش الكتاب ٣ / ٥٤٣ .

(٢٨) شرح نهج البلاغة، ١٥ / ١٨٨ .

(٢٩) نفسه، ١٥ / ١٨٨ .

(٣٠) لسان العرب - خبأ - ١ / ٦٢ .

(٣١) سورة النمل / من الآية ٢٥ .

(٣٢) الكتاب، ٣ / ٥٤٥ .

(٣٣) الكتاب، ٣ / ٥٤٦ .

(٣٤) شرح نهج البلاغة، ٥ / ١٩٥ .

(٣٥) الكتاب، ٣ / ٥٤٣ .

(٣٦) شرح نهج البلاغة، ٦ / ٣٩٦ .

(٣٧) نفسه، ٦ / ٤٣٨ .

(٣٨) نفسه، ٩ / ١٤٨ .

(٣٩) المخصص، ١٤ / ١٩ .

(٤٠) نفسه ١٤ / ٦ .

(٤١) لسان العرب - نوا - ١ / ١٧٤ .

(٤٢) شرح نهج البلاغة، ٦ / ٣٩٢ .

(٤٣) لسان العرب - روا - ١ / ٩٠ .

(٤٤) لسان العرب - برأ - ١ / ٣١ .

(٤٥) الحشر / ٢٤ .

(٤٦) البقرة / ٥٤ .

(٤٧) لسان العرب - درأ - ١ / ٧٨ .

(٤٨) البقرة / من الآية ٧٢ .

(٤٩) لسان العرب - ذرأ - ١ / ٧٩ .

(٥٠) المخصص لابن سيده، ١٤ / ٢ .

(٥١) شرح نهج البلاغة ٧ / ٩٩ .

(٥٢) ينظر المخصص ١٤ / ٧ - ٨ .

(٥٣) ينظر: المنهج الصوتي للبنية الصرفية د. عبد الصبور شاهين ص / ١٧٢ .

(٥٤) المنهج الصوتي للبنية الصرفية، ص / ١٧٢ .

(٥٥) نفسه ص / ١٧٣ .

(٥٦) الكتاب ٤ / ١٧٦ .

(٥٧) نفسه ٤ / ١٧٦ - ١٧٧ .

(٥٨) الخصائص، ١ / ٢٥٩ .

مصادر البحث ومراجعته :

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- الإتقان في علوم القرآن لأبي بكر جلال الدين السيوطي، ط/٣، ١٣٦٠هـ-١٩٤١م.
- ٣- إصلاح المنطق لابن السكيت (١٨٦هـ-٢٤٤هـ) شرح وتحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ط/٢، ١٩٥٦-١٣٧٥هـ.
- ٤- الخصائص، صنعة أبي الفتح عثمان بن جنى المتوفى ٣٩٢هـ، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.
- ٥- ديوان ذي الرمة غيلان بن عقبة العدوي المتوفى ١١٧هـ، شرح الإمام أبي نصر احمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي، رواية الإمام أبي العباس ثعلب، حققه وقدم له الدكتور عبد القدوس أبو صالح، دمشق، مطبعة طربين ١٩٧٣م.
- ٦- سر صناعة الإعراب، صنعة الشيخ أبي الفتح عثمان بن جنى النحوي إلى أبي بكر عبد الواحد بن عرس بن فهد بن احمد الأزدي، ج/١، حققه لجنة من الأساتذة مصطفى السقا، إبراهيم مصطفى، محمد الزفزاف وعبد الله أمين، دار إحياء التراث القديم، ملتزم الطبع والنشر، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط/١، ١٣٧٠هـ-١٩٥٤م.
- ٧- شرح ديوان حسان بن ثابت، الدكتور محمد درويش، الناشر: دار المعارف بمصر- القاهرة.
- ٨- شرح المفصل تأليف موفق الدين بن يعيش النحوي المتوفى ٦٤٣هـ عالم الكتب- بيروت، مكتبة المثنى- القاهرة.
- ٩- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط/٢، ١٣٧٥هـ-١٩٦٥م.
- ١٠- العين، للخليل بن احمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٥هـ) تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر.
- ١١- فصيح ثعلب والشروح التي عليه، نشر وتعليق الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي، ط/١، ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م، الناشر، مكتبة التوحيد بدرب الجماميز لصاحبها علي خربوس، المطبعة النموذجية.
- ١٢- كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، توفي ١٨٠هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج/١، دار القلم ١٣٨٠هـ-١٩٦٦، ج/٢، دار الكتب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، ج/٣، ٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- ١٣- لسان العرب للعلامة أبي الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري المتوفى ٧١١هـ، دار الفكر- دار صادر- بيروت.
- ١٤- اللهجات العربية في التراث للدكتور احمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- ١٥- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب فاضل المطلبي، دار الحرية للطباعة والنشر، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- ١٦- المخصص، تأليف أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيدة، توفي ٤٥٨هـ، المكتبة التجارية للطباعة والتوزيع والنشر- بيروت.

- ١٧- المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد توفي ٢٨٥هـ، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب- بيروت.
- ١٨- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي- دار الشعب.
- ١٩- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، لقطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي، توفي ٥٧٣هـ، منشورات المرعشي، تحقيق عبد اللطيف الكوهكمري.
- ٢٠- المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، الدكتور عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م، بيروت، شارع سوريا، بناية حمدي وصالحه.
- ٢١- النشر في القراءات العشر، تأليف الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي المشهور بابن الجزري المتوفى ٨٣٣هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، أشرف على تصحيحه ومراجعته علي محمد الضياع.